

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي  
تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ  
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ  
الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (164)

(إِنَّ) حرف مشبّه بالفعل للتوكيد (في خلق) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف خبر مقدّم (السموات) مضاف إليه مجرور (الأرض) معطوف على السموات بالواو مجرور مثله (الواو) عاطفة (اختلاف) معطوف على خلق مجرور مثله (الليل) مضاف إليه مجرور (النهار) معطوف على الليل بالواو مجرور مثله (الواو) عاطفة (الفلك) معطوف على خلق مجرور مثله (التي) اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ نعت لـ (الفلك) (تجري) مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدّرة على الياء والفاعل ضمير مستتر تقديره هي (في البحر) جارّ ومجرور متعلّق بـ (تجري) (الباء) حرف جرّ (ما) اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ متعلّق بمحذوف حال من فاعل تجري أي متلبّسة بـ ما ينفع الناس (ينفع) مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره هو (الناس) مفعول به منصوب (الواو) عاطفة (ما) اسم موصول معطوف على خلق في محلّ جرّ (أنزل) فعل ماضٍ (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (من السماء) جارّ ومجرور متعلّق بـ (أنزل) ، (من ماء) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف حال من مفعول أنزل أي ما أنزله الله من السماء حال كونه ماء ، (الفاء) عاطفة (أحيا) فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح المقدّر على الألف ، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو أي: الله (الباء) حرف جرّ و (الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بـ (أحيا) ، (الأرض) مفعول به (بعد) ظرف زمان منصوب متعلّق بـ (أحيا) ، (موت) مضاف إليه مجرور و (ها) مضاف إليه (الواو) عاطفة (بث) فعل ماضٍ والفاعل هو (في) حرف جرّ و (ها) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بـ (بث) ، (من كلّ) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف نعت لمفعول بث (دابة) مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (تصريف) معطوف على خلق مجرور مثله (الرياح) مضاف إليه مجرور (السحاب) معطوف على الرياح بالواو مجرور مثله (المسخّر) نعت لـ (سحاب) مجرور مثله (بين) ظرف مكان منصوب متعلّق بـ (المسخّر) فهو اسم مفعول (السماء) مضاف إليه مجرور (الأرض) معطوف على السماء بالواو مجرور مثله (اللام) لام الابتداء للتوكيد (آيات) اسم انّ مؤخّر منصوب وعلامة النصب الكسرة (لقوم) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف نعت لآيات أي: آيات بينات لقوم.. (يعقلون) مضارع مرفوع والواو فاعل.

وكل هذا داخل في قوله {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا  
الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الْهَجْرِ أَهْوَنَ مِنْ بَعْضٍ.

وَكَذَلِكَ الْحَرْجُ الَّذِي فِي الصَّدُورِ مِنْهُ:

فَإِنَّهُ تَارَةٌ يَكُونُ حَرْجًا مِنْ أَنْزَالِهِ وَكَوْنُهُ حَقًّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

وَتَارَةٌ يَكُونُ مِنْ جِهَةِ الْمُتَكَلِّمِ بِهِ، أَوْ كَوْنُهُ مَخْلُوقًا مِنْ بَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ  
أَلَمْ يَكُنْ غَيْرَهُ أَنْ تَكَلَّمَ بِهِ.

وَتَارَةٌ يَكُونُ مِنْ جِهَةِ كِفَايَتِهِ وَعَدَمِهَا وَأَنَّهُ لَا يَكْفِي الْعِبَادَ، بَلْ هُمْ  
مُحْتَاجُونَ مَعَهُ إِلَى الْمَعْقُولَاتِ وَالْأَقْيَسَةِ أَوْ الْآرَاءِ أَوْ السِّيَاسَاتِ.

67 - وَعَنْ بُسْرَةَ بِنْتِ صَفْوَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: **"مَنْ مَسَّ ذَكَرَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ"**. أَخْرَجَهُ الْخَمْسَةُ، وَصَحَّحَهُ الْيَرْمُذِيُّ وَأَبْنُ حَبَّانَ، وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: هُوَ أَصَحُّ

يَبْنِي فِي هَذَا الْبَابِ

ما يؤخذ من الحديثين:

- 1 - الحديثان صحيحان، ومهما أمكن الجمع بينهما وإعمالهما، فهو أولى من إسقاط أحدهما بالآخر.
  - 2 - حديث طلق يدلُّ على أنَّ مَسَّ الذَّكَرِ لا ينقضُ الوضوء، وقد علَّله - صلى الله عليه وسلم - بقوله: **"إِنَّمَا هُوَ بَضْعَةٌ مِنْكَ"**، والبضعة: القطعة من أي عضو من أعضائك.
  - 3 - حديث بكرة يدل على أنَّ مَسَّ الذَّكَرِ ينقضُ الوضوء.
  - 4 - أفضل ما يجمع بين الحديثين بأحد طريقيين:
- الأول: أَنَّهُ يَنْقُضُ الْوُضُوءَ إِذَا مَسَّهُ مِنْ غَيْرِ حَائِلٍ، فَإِنْ مَسَّهُ بِحَائِلٍ لَمْ يَنْقُضْ؛ وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْقَوْلَ رَاوِيَةٌ: **"الرَّجُلُ يَمَسُّ ذَكَرَهُ فِي الصَّلَاةِ"**، فالصلاة ليست محلَّ لَمَسِ الْفَرْجِ بِلَا حَائِلٍ.
- الثاني: أَنَّ مَسَّهُ بِشَهْوَةٍ يَنْقُضُ الْوُضُوءَ، وَمَسَّهُ بِدُونِهَا لَا يَنْقُضُ.

والجمع الأخير أوجه وأقرب، ذلك أَنَّ الذَّكَرَ قطعة وبضعة منك، فما دام أَنَّ الْمَسَّ عَادِي، لَمْ يَصَاحِبْهُ شَهْوَةٌ، فمجرد اللمس ليس ناقضًا، وَإِنَّمَا النَّاْقُضُ مَا يَخْرُجُ مِنْ أَحَدِ السَّبِيلَيْنِ بِسَبَبِ اللَّمَسِ، وبدون شهوة هذا الخارج منتف، أما إذا صاحبه الشهوة، فإنَّ ذلك يكون مظنة خروج المذي، وهو ناقض؛ كما أَنَّ فوران الشهوة وحرارتها المنافية للعبادة لَا يُطْفِئُهَا وَيَسْكُنُ هَيْجَانَهَا إِلَّا الْمَاءُ، لاسيما بنية الوضوء، وهو عبادة يصاحبها من النية والذكر ما يسكن الشهوة.

68 - وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيََ اللَّهُ عَنْهَا- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: **"مَنْ أَصَابَهُ فِيَّءٌ أَوْ رَعَا، أَوْ قَلَسَ، أَوْ مَذِيٌّ فَلْيَنْصَرِفْ فَلْيَتَوَضَّأْ، ثُمَّ لِيَبْ عَلَى صَلَاتِهِ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ لَا يَتَكَلَّمُ"**.  
أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَه، وَضَعَفَهُ أَحْمَدُ، وَغَيْرُهُ

ما يؤخذ من الحديث:

1 - يَدُلُّ الحديث بظاهره على أَنَّ مَنْ أَصَابَهُ فِيَّءٌ أَوْ رَعَا أَوْ قَلَسَ أَوْ مَذِيٌّ، وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ، فَعَلِيهِ أَنْ يَنْصَرِفَ عَنْهَا، ثُمَّ يَتَوَضَّأْ، ثُمَّ لِيَبْ عَلَى صَلَاتِهِ وَيَتِمَّهَا، فَهِيَ لَمْ تَبْطُلْ.

2 - يَـسْرَطُ فِي ذَٰلِكَ أَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ؛ فَمَفْهُومُهُ أَنَّهُ لَوْ تَكَلَّمَ، بَطَلَتْ صَلَاتُهُ، وَلَا يُمْكِنُهُ الْبِنَاءُ عَلَيْهَا، بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ إِعَادَتُهَا.

3 - أَخَذَ بِهَذَا -وَهُوَ جَوَازُ الْبِنَاءِ عَلَى الصَّلَاةِ- : الْحَنْفِيَّةُ وَالزَّيْدِيَّةُ وَمَالِكٌ وَأَحَدُ قَوْلِي الشَّافِعِيِّ، وَذَهَبَ جَمْهُورُ الْعُلَمَاءِ إِلَى بَطْلَانِ الصَّلَاةِ إِذَا حَصَلَ نَاقِضٌ لِلْوُضُوءِ، وَعَدَمُ جَوَازِ الْبِنَاءِ عَلَيْهَا.

4 - الحديث ضعيف؛ فَقَدْ ضَعَّفَهُ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَالذَّارِقُطِيُّ وَغَيْرُهُمْ، هَذَا لَوْ سَلِمَ مِنَ الْمَعَارِضِ، فَكَيْفَ وَهُوَ مُعَارِضٌ بِنُصُوصٍ صَحِيحَةٍ صَرِيحَةٍ، مِنْهَا مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (205) مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ طَلْقٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **"إِذَا فَسَأَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ، فَلْيَنْصَرِفْ وَلْيَتَوَضَّأْ، وَلْيَعِدْ الصَّلَاةَ"**، قَالَ الْيَرْمُذِيُّ (1164): هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

5 - وَجْهُ الشَّدُوذِ فِي الْحَدِيثِ هُوَ جَوَازُ الْبِنَاءِ عَلَى الصَّلَاةِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ، أَمَّا الْمَعْدُودَاتُ فِي الْحَدِيثِ: فَإِنَّ بَطْلَانَ الْوُضُوءِ فِيهَا مَوْضِعُ نِزَاعٍ قَوِيٌّ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، عَدَا الْمَذِيَّ، فَهُوَ نَاقِضٌ بِالْإِجْمَاعِ؛ لِأَنَّهُ خَارِجٌ مِنْ أَحَدِ السَّبِيلَيْنِ.